

التفكير النقدي عند عثمان بدري، دراسة انتقائية Critical thinking of Othman Badri, a selected study

1 ريم ميلودي*

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، (الجزائر)، rym.miloudi.etu@univ-mosta.dz

(مخبر الدراسات اللغوية والأدبية في الجزائر من العهد التركي إلى نهاية القرن العشرين)

2 هشماوي فتيحة

جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، (الجزائر)، fatiha.hachemaoui@univ-mosta.dz

تاريخ الارسال 2024-03-02 تاريخ القبول 2024-12-29 تاريخ النشر 2024-12-31

ملخص:

نحاول من خلال هذه الورقة البحثية، الكشف عن طبيعة التفكير النقدي لدى عثمان بدري، من خلال بعض مؤلفاته، على ضوء المنهج الوصفي (بناء الشخصيات دراسة تطبيقية في الشعر، والمعالم المترصدة للنقد العربي)، والتي عالج فيها الراهن النقدي في زخم الساحة الثقافية، مبرزين وصفا وتحليل وتفسير الفكر النقدي في أعماله، ودوره الفعال في تركية هذا الفعل بصفة عامة.

الكلمات المفتاحية: نجيب محفوظ، الشعر العربي، عثمان بدري، النقد التطبيقي، نقد النقد

Abstract:

Through this research paper, we are trying to reveal the nature of critical thinking among Othman Badri, through some of his works, in light of the descriptive approach (building characters, an applied study in poetry, and the lurking features of Arab criticism), in which he addressed the critical current in the momentum of the cultural arena, highlighting A description, analysis, and interpretation of critical thought in its works, and its effective role in recommending this act in general.

Keywords: Naguib Mahfouz, Arabic poetry, Othman Badri, applied criticism, criticism of criticism.

1. مقدمة:

من أجل أن يعرف الباحثون أين وصلوا في ميدان من ميادين البحث العلمي، فإنهم مطالبون بعمل وصف شامل لتلك الجهود السابقة المبذولة، من خلال عرضها على العقل الناقد من أجل اختبار مدى نجاعتها في الإحاطة بالحقل الدلالي الخاص بالموضوع المدروس.

كان النقد بحاجة إلى عملية مسح ومراجعة شاملتين، من فترة إلى فترة، حتى يستبين أهل الاختصاص أين وصلوا وما هي الآفاق المستقبلية المحتملة، وما هو الأمر الجديد المبتكر وما هي الأمور الخاطئة المجترحة التي تحتاج تصحيحا، وغير ذلك.

وهذه المراجعة، هي ما يطلق عليه في عُرف النقاد العديد من الأسماء، من بينها: التفكير النقدي، الوعي النقدي، نقد النقد، المقاربة النقدية، وغيرها.

وحتى لا يقع الخلط في التفريق بين بعض المصطلحات الواردة أعلاه، من الضروري الإشارة إلى أنّ المجاورة الحاصلة بين بعض الألفاظ والاصطلاحات، لا يعني أنّها بمنزلة المترادفات، ولكن، قد تكون بينها علاقة معينة؛ كعلاقة العام بالخاص أو علاقة الوسيلة بالنتيجة وغيرها من الاستنتاجات التي تحصل بفعل عمليات الوصف والتصنيف والتفسير والفهم.

ومن هنا، فإنّ التفكير النقدي والوعي النقدي ونقد النقد وغيرها، قد ترتبط في العديد من السياقات حدّ التقارب لكنها تختلف بحسب السياق والمقام.

عناصر البحث

يحاول هذا البحث، أن يقوم بدراسة وصفية تحليلية، لبعض مؤلفات الناقد الجزائري (عثمان بدري)، في إطار السعي إلى معرفة طبيعة التفكير النقدي لديه ومشروعه الذي يحاول إرساءه في البيئة النقدية الجزائرية. ولأجل ذلك، سوف نعالج -بداية- أهمية التفكير النقدي وما يقترب منه على صعيد الحقل الدلالي، ثم نعرّج على بعض مؤلفات الكاتب موضوع الدراسة، ونستعرض أهم محتوياتها، وهي:

- بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ¹
 - دراسات تطبيقية في الشعر العربي نحو تأصيل منهج في النقد التطبيقي²
 - المعالم المتصدرة للنقد الأدبي في العالم العربي أواخر القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة³
- لنتنقل بعدها إلى نتائج البحث وتوصياته، من أجل إرساء هذا الفعل الحضاري (التفكير النقدي)، في حقل النقد على فترات، حتى تصطبغ أبحاثنا بالتنظيم والترتيب والجدّة، وتبتعد عن التكرار والخطأ.

1/- أهمية التفكير النقدي:

يستمد النقد وجوده من الأدب، وذلك من خلال الدراسة والمقاربة اللذان يمارسهما عليه، ولكنّ هذه العلاقة ليست الوحيدة الموجودة في ميدان المعرفة النقدية، على اعتبار أنّ هناك ما يسمى بالتفكير النقدي، الذي يستمد فعاليته المنهجية والإجرائية من كونه يختبر سلامة المسالك المتبعة تنظيراً وتطبيقاً على طول الزمن. ومن هنا نفهم، بأنّ "الفكرة توجّه كلّ شكلٍ من أشكال النقد الأدبي وتطوره، وعليه، يصبح نقد الأفكار الأدبية شرطاً جوهرياً لكي تكون كلّ نقد "أدبي" لأنه يضع إجبارياً معالم الحقل المفاهيمي لنقد الأدب، ويتحرّاه ويُوضّحه ويُوجّهه ويُحدّد إطاره النظري، كما يطبعه بتوجّه عميقٍ للبحث عن كيفية انتشار الأفكار والنزعات عبر العصور، انطلاقاً من النخبة إلى المحيط الواسع وبالعكس، ولملاحظة تعريف الكتابات وتحليلها وتأويلها وتطور الأفكار عبر إرسائها وارتحالها وتلقّيها"⁴

ونظراً لأهمية هذا المسلك النقدي، استعمله الكثير من النقاد في مؤلفاتهم؛ فهذا (عيسى علي العاكوب)، يقول: "وقد جاء في الكتاب تركيزٌ واضحٌ على الفكر النقدي الرئيسة عند كل ناقد وبلورتها وتحديد مكانها في فضاء النقد العربي القديم، حتى بدا الكتاب كأنه في تاريخ الأفكار النقدية. أما ما اعتقدت أنه إسهامٌ كبيرٌ تفرّد به الناقد وأثرى به محصول النقد العربي، فقد أحلّته منزلة خاصة تحت بابةٍ أسميتها (الإضافات النقدية)"⁵

فالباحث من خلال قوله هذا، يوضّح لنا أهمية تتبع الأفكار في الممارسة النقدية، وكذا أهمية تتبع ملامح الجدّة والإضافات التي تثري المعرفة النقدية وتعزز من فعاليتها.

وأما (حميد لحداني)، فقد طرح جملة من المراحل، التي يمكن تتبعها، أثناء قيامنا بدراسة التفكير النقدي لدى ناقد معين، نجملها في الآتي:⁶

- الإقناع والدوق
- الذاتية والموضوعية
- الطريقة والمنهج
- النظرية والممارسة

وما يعنيه بالإقناع والدوق، تلك الأبحاث والدراسات التي اضطلعت بمباحث البلاغة والنقد القديمين، ومازالت إلى الآن تُعالج تحت باب الحجاج وما جاوره، ولكثرة ما تُنوّلا بالدراسة أصبحا من معالم التفكير النقدي.

وأما الذاتية والموضوعية، فيتم اختبارها من خلال مراقبة وتتبع الخطاب النقدي من حيث لغته الاصطلاحية ومحتواها المعرفي، ومدى نجاعتها في الإحاطة بالقضية النقدية المعالجة.

وبطبيعة الحال، فإنّ كلّ ناقد مجبر على اتباع منهج معين وطريقة مخصوصة أثناء تحليله لنص من النصوص، وقد شرحهما (حميد لحداني) فقال:

"أما طرائق التحليل فهي الخطوات التي يتبعها الناقد في دراسة نص معين وهذه الخطوات بعضها يفرضه نوع المنهج المتبع والبعض الآخر يفرضه النوع الأدبي والبعض الأخير يفرضه مزاج وفكر الناقد"⁷

إنّ ما نرمي إليه من وراء تتبع الفكر النقدي لدى ناقد من النقاد، هو التوصل إلى حصاد عام لما انتهى إليه تفكيره، وكذلك الأمر إذا كنا بصدد تناول فترة تاريخية معينة، أو جماعة كبيرة من النقاد.

إنّ تتبع هذا الفكر هو "مشروع ثقافي، يربط الحاضر بالمستقبل، والعمل بالنظر، والممارسة العربية بالفكر العربي... مشروع يستعيد الثقافة العربية المذكورة والمنسية، ويُقدّمها إلى القارئ في سلسلة كتب، وتكافل مواضيع، كي يُلقّي ضوءاً جديداً على الكاتب والمكتوب، وكي يخلق صلة جديدة بين القارئ والكاتب، بين الحاضر والماضي (...). وفي هذه القراءة، وبواسطتها يُوحّد بين زَمَنَيْنِ مُتَصِلَيْنِ (...). يتّجه المشروع إلى قارئ، ويستعيد ثقافة"⁸

ومثلما يرتبط الفكر بالنقد، نجدّه يرتبط كذلك بالأدب، "إذ أنّ تاريخ الأدب يتمشّي مع التاريخ الفكريّ ويعكسه. وكثيراً ما تُبيّن الأقوال الصريحة أو الإيماءات ولاء الشاعر لفلسفة بعينها، أو تُثبت معرفته المباشرة لفلسفات كانت شائعة، أو إدراكه لُفروضها العامة"⁹

ولا ينال وصف الفكر النقدي لدى ناقد من النقاد قيمته المعرفية، إلا من خلال الاستعانة بفعالية النقد الشارح، وهو الأمر الذي ناقشه (جابر عصفور)، في سياق تفريقه بين النقد الأدبي والنقد الشارح، فقال:

"إذا كان النقد الأدبي، في أبسط مفاهيمه بوصفه خطاباً لغوياً، هو كل العبارات الموجودة عن الأعمال الأدبية، في إشاراتها المباشرة أو غير المباشرة إلى هذه الأعمال، فإنّ النقد الشارح هو الخطاب الذي يُنزل هذه العبارات منزلة الموضوع، ويضعها موضع المسألة، مختبراً سلامتها المنطقية واتّساقها الفكريّ، ويصعد منها إلى الأنساق التي تحتويها، محلّلاً أبعادها

الوظيفية ودلالاتها التأويلية، مترجما الأنساق إلى مقولات أو مبادئ تصوّرية تؤسس حضور "النظرية". هكذا، يغدو النقد الشارح المجال المعرفي الذي يصل بين حدود النقد التطبيقي وحدود النظرية، في متّصلٍ يبدأ من تصنيف عبارات النقد التطبيقي وينتهي بتحليل المفاهيم الكلّية. والمسافة بين طريقي المتّصل المتدرّج هي المسافة بين مستويات النقد الشارح، في الآليات المترتبة لإشارته إلى لغة الموضوع -النقد الأدبي- في تعدد أبعادها ووظائفها¹⁰ فإذا كان النقد الشارح (نقد النقد) وسيلة، فإنّ تأسيس الفكر النقدي هو الغاية المبتغاة من وراء الدراسة والمقاربة والتحليل، ومن هنا، نفهم الخيط الرفيع الذي عنده يفترق المصطلحان: الفكر النقدي والنقد الشارح.

وحقّ تكون دراسة ناقد النقد موضوعية وعلمية، فإنه مضطر إلى اجتناب التهجم على الأشخاص وتقويلهم ما لم يقوله، من خلال ليّ عنق النصوص التي يحللونها لهم، وإنما عليه -وفقا لما سبق- أن يتحلّى بالروح العلمية، فيعلم أنّ ما يقوم به "هو حوار مفتوح ومُساجلة قد تكون هادئة أو حامية مع تيارات ونظريات تحوي الخطاب؛ فالخطاب النقدي شعب متفرعة مُنغرس في أحضان نظريات فكرية وفلسفية وتيارات تفرض على ممارس نقد النقد التصادم معها سلباً أو إيجاباً لجلب المعاني المكتنزة الأسيرة لديه وعرض المخفيّ وتقديمه للمتلقي بطبقٍ من الوضوح والبساطة"¹¹

ثمّ إنّ ممارسة فعل نقد النقد على الخطابات، ليس بالأمر الهين على كلّ دارس، باعتبار أنّه يستلزم ثقافة ووعيا كبيرين بمختلف الاتجاهات والتيارات، ومعرفة عميقة بالنظريات الأدبية والنقدية، وتبصّراً بالأجناس والأنواع الأدبية، "فمشقة نقد النقد بدلالة وظيفته مشقة عسيرة تعتمد إلى التهذؤة، فخصومه من عيارٍ ثقيلٍ مما يتطلب التحزّم بمعياريّ أثقل من اللغة والفكر ومُوالجة المستجدّات الفلسفية والتيارات والنظريات الناشئة بين حقبة وأخرى، كي يتمكّن من معالجة النصوص -بما فيها من مضامين وخروقات وإخفاقات -معالجة شاملة تضمّن له الأهلية في الأقلّ. وعليه فإنّ كفاءة خطاب نقد النقد لا تأتي من باب ممارسة السّلطة الفوقية على الخطاب النقديّ، وإنما تأتي من باب المحاوره معه وإضافة رؤى جديدة لها مُسوِّغاتها الموضوعيّة"¹² التي تعلق باب الذاتية، وتفتح نافذة النقاش الموضوعي الهادف، الخالي من الحسابات الشخصية الضيقة.

2/- مدونة الدراسة

سنحاول فيما يلي، أن نقوم بدراسة وصفية تحليلية، على بعض الاقتباسات المختارة من كتب (عثمان بدري) التي بين أيدينا، لنبين طبيعة التفكير النقدي لديه، وأهم القضايا التي نالت اهتمامه.

أ/- كتاب بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ:

يعود سبب اختيار الناقد لهذا الأديب دون غيره حسب رأيه، في أنّ "نجيب محفوظ يمثل ظاهرة أدبية متفردة تتميز عن غيرها من حيث طريقة استخدام الوسائل الفنية التي يتحقق بواسطتها العالم الروائي وهو ينبض ويضطرب اضطراب الحياة وإن لم يكن مطابقاً للحياة. وهذه الوسائل تتمثل في: (اللغة - الشخصيات - الحدث - الزمان - المكان). وميزة نجيب محفوظ الأساسية تتمثل في إدماج كلّ العناصر مع بعضها، بحيث تتولد عنها رؤية فنية وفكرية، تتسم بالحيوية والعمق والشمول. هذا إلى جانب أنّ نجيب محفوظ روائي ذو نفس طويل، يبدو فيه إنتاجه الروائي من زاوية نظر بانورامية عبارة عن ملحمة لصراع الإنسان الذي يُصوِّره أو يركبه، مع الزمن"¹³

وأما عن طبيعة المسلك المنهجي المستعمل، فقد صرّح (عثمان بدري) بأنّ "المنهج الذي يقوم عليه البحث، منهج لغوي تحليلي في الغالب ووصفي استنتاجي في بعض الحالات. وقد تحدت وظيفة الدارس -أخذاً بهذا المنهج- في فحص وتحليل النصوص الروائية لمعرفة الخصائص الفنية التي بواسطتها يتم بناء الشخصية الرئيسية عند نجيب محفوظ، دونما أيّ موجّه خارجي آخر غير ما تُمدّنا به الرؤية النصية"¹⁴

وما نفهمه من قوله هذا، هو أنّه قد استعمل النقد النسقي في مقارنته لمختلف كتابات نجيب محفوظ السردية، بحيث يستنبط معطيات التحليل من خلال اكتناه النصوص في حد ذاتها، دون محاولة الخروج عنها إلى معطيات سياقية أخرى.

وقد اختار الباحث كنماذج للدراسة والتحليل، الأعمال الروائية الآتية:¹⁵

- القاهرة الجديدة
- زقاق المدق
- بداية ونهاية
- اللص والكلاب
- الطريق
- الشحاذ
- ثرثرة فوق النيل

وقد ركزت دراسته داخل هذا الكتاب، على الاشتغال ضمن محورين رئيسيين، حدد من خلالهما بناء الشخصية الرئيسية هما:

1- البناء الواقعي التصويري:¹⁶

وهو يتمثل في أنّ البناء اللغوي للشخصية يخضع -في الغالب- إلى نظام الصورة المرئية في المقاطع الوصفية المكانية، وإلى نظام التسلسل السببي القائم على بروز وحدة الفعل العضوي في المقاطع السردية الوصفية. كما أنّ لغة الحوار من جهة ولغة العالم الداخلي للشخصية من جهة ثانية محكومة إلى حد بعيد بنظام الصورة المرئية، القائمة على التجسيم والتشخيص والتحليل في بعض الأحيان. وفي كل الأحوال، فإنّ بناء الشخصية الرئيسية هنا يتم عن طريق مجموعة من الوسائط الحسية المرئية أو غير المرئية وفي كل الأحوال أيضاً تخضع الشخصيات إلى نوع من المداولة بين الوضع المتحرك للشخصية (الصور السردية) وبين وضعها الساكن (الصور الوصفية) بصفة أساسية وفي ثانياً ذلك تأتي الصور الحوارية لتدفع -في الغالب- بالسياق الوصفي والسردى إلى الأمام.

2- البناء التركيبي للشخصية الرئيسية:¹⁷

وهو يتمثل في أنّ لغة نجيب محفوظ هنا مكثّفة في حد ذاتها ومكثّفة من حيث وظيفتها في بناء الشخصيات الرئيسية هنا باعتبار عمقها الذهني والشعوري واللاشعوري، وقد ترتّب عن ذلك أن جاءت كلّ الوحدات الروائية (الحدث- الزمن- المكان) والشخصيات الثانوية مركبة ومتداخلة فيما بينها من ناحية، ومركّزة داخل مجرى الزمن والشعور من ناحية ثانية. وقد كان الأسلوب الفني المهيمن هنا هو استخدام المونولوج الداخلي بأشكاله المختلفة، للتعبير عن مجرى وعي ولا وعي الشخصيات الرئيسية هنا.

ب/- كتاب دراسات تطبيقية في الشعر العربي نحو تأصيل منهج في النقد التطبيقي

يتمثل الهدف الأساسي من وراء تأليف هذا الكتاب، في محاولة معرفة "كيف يمكن أن تتكامل المنجزات النقدية التطبيقية المتاحة لتأسيس "اتجاه" أو "تيار" في النقد التطبيقي العربي عموماً، والحديث والمعاصر، خصوصاً، وذلك قصد إتاحة فرص الخروج من الدوران في فلك الاستهلاك النظري للآخر، وإتاحة إمكانية الدخول في الوعي الأدبي والثقافي المنتج "للأنا" المنفتحة على "الآخر" دون التلاشي فيه"¹⁸

وأما عن منهجه في التحليل، فقد صرّح قائلاً: "تعدد قراءات العمل الفني، بتعدد الاتجاهات والمناهج الأدبية والنقدية، بل بتعدد المنازع الأيديولوجية للمبدع والمتلقي في آن معاً. إلا أنّ القراءة الأولى والأنسب، ولا نقول المفضّلة- هي تلك القراءة المستكشفة المنبثقة من ضُلب العمل الفني نفسه، المتخفّفة من ثقل البواعث والأهداف، الأيديولوجية السافرة، وأكاد أصف هذه القراءة قائلاً: القراءة التفسيرية التأويلية"¹⁹

وأما عن فصول الكتاب، فقد جاءت على النحو الآتي:²⁰

الفصل الأول: إشكالية المعنى بين الصورة البلاغية والصورة الشعرية: قراءة في نماذج من شعر امرئ القيس والمتنبي

الفصل الثاني: المؤلف والمختلف في عتبات الشعر العربي الحديث والمعاصر: نماذج منتقاة

الفصل الثالث: أسلوبية التكرار في الشعر العربي الحديث والمعاصر (تمثّل نظري وإنجاز تطبيقي)

الفصل الرابع: الموقف الملحمي في شعر مفدي زكريا: قراءة استطلاعية

غير أننا لن نتكلم عن كلّ الفصول، بل سنكتفي باجتزاء بعض الاقتباسات المهمة، لتفسيرها والتعليق عليها.

يشغل (عثمان بدري) على أفق نقدي غاية في الأهمية، معبراً عنه بعبارة (النقد التطبيقي)، وحتى يوضّح للقارئ قصده من إطلاق هذا المسمّى، فهو يذهب إلى "أنّ برهنة النقد الأدبي على جدوى اشتغاله، على الخطاب الأدبي تبدو أكثر واقعية وحيوية وثراءً على مستوى "المعاينات" العينية للأدب، التي يمكن أن تشملها عبارة "النقد التطبيقي"، التي لا نعني بها مجرد الاشتغال التقني على طريقة "الشاهد النصي"، وإنما نعني به "النقد المنتج"، لأنساق من التصورات أو التمثيلات أو الاستبصارات الفكرية النظرية، بالاحتكام إلى قوة اقتراح النصوص الأدبية نفسها، لاعتقادنا بأنها هي منشأ النظرية أو الاتجاه أو المدخل النقدي، والمنتج - "النقد الأدبي" - لجماليات النصوص الأدبية، باعتبار نوعها واتجاهها وسياقاتها، وباعتبار - وهذا هو الأهم - أخصّ خصائص القول التي تشغل عليها لبناء "رؤية ما للعالم"²¹

فبقدر ما يبرز هذا الاقتباس النزعة النصوبية للباحث، فإنه يلفت نظرنا إلى أمر غاية في الأهمية، وهو محاولة التخلي عن المسميات التقليدية (المناهج النسقية والمناهج السياقية وغيرها)، والاستعاضة عنها بمسمى (النقد التطبيقي)، مع ضرورة أن يكون هذا الأخير موسوعياً وحيوياً ومنتجاً، بحيث يسهم في إنتاج المعرفة النقدية، من خلال استكناه عوالم النصوص بمنهجية تتجاوز مجرد الوصف والتصنيف، إلى الاستنباط والتجريد والاستعانة بالمعارف القريبة، بما يثري الفكر النقدي، ويجعله فكراً بنّاءً، يضيف لبنة إلى لبنات النظرية الأدبية، ويقوّي من دعائمها.

وهذا الإثراء للمعرفة النظرية الذي نتحدث عنه، هو ما سيمكّننا "من التحكم في النص وفي تحولاته المتواصلة"، وهو ما سيعمّق من وعينا وإدراكنا للدراسات النقدية وما تعلق بها من نظريات ومناهج ومذاهب.

وقد عبّر (عبد الله العشي) عن بعض هذا المعنى، في معرض حديثه عن الأجناس الأدبية، فقال: "ينبغي أن نعرف أنّ كلّ جنس أدبي يستمد شكله من طبيعة هويته؛ فالأجناس الأدبية والفنية ليست مجرد أساليب تعبيرية فقط، بل هي أنماط إدراكية قبل أن تكون أشكالاً لغوية أو صوتية أو لونية"²²

ومن هنا وجب التأكيد، على ضرورة التخلي عن المعالجة الروتينية للنصوص عبر نمط واحد، مكرر، وغير منتج، والسعي إلى التوسّل بالحسّ التجريدي والمعرفي والتصنيفي في التعامل مع مختلف النصوص، حتى يكون نقدنا عرضة للتحسين دائماً، ومتفاعلاً مع الراهن الثقافي، وجاهزاً لاختبار قدرته على المثاقفة مع نقود القوميات الأخرى.

وقد جرى اختبار هذا الوعي النقدي الموسوعي، في العديد من سياقات الكتاب، نذكر منها، ما كتبه معلّقاً على تجربة الشاعر المتنبي، قائلاً: "إنّ المتنبي كما نعلم من تاريخ حياته ومن شعره، شاعر طموح تسكن شعره "رؤيا" و "رؤية" المجد المادي والمعنوي الذي لا يحده المكان والزمان، ولذلك فبقدر ما صوّر سيف الدولة من هذا المنظور، بقدر ما جعل منه شخصية "كاريزماتية" تحوّلت إلى رمز ملحمي تظلله الأسطورة"²³، إذ نجده لا يقف كثيراً على متابعة الجماليات، بقدر ما يختبر ما تحمله النصوص من أفكار ورموز وأساطير دالة.

كما استعان الباحث بأسلوب الاستفهام لممارسة فعل نقد النقد، من خلال توظيف المعطيات التاريخية، فطرح التساؤل التالي: "هل هي مجرد مصادفة تاريخية أن تكون رؤية المتنبي القائمة على "إرادة القوة" قريبة الشبه برؤية، "الإنسان الأعلى" عند الفيلسوف الألماني فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche)، (1844-1900)؟"²⁴

وفي سياق حديثه عن القصيدة الشعرية بين القديم والحديث، ذهب الباحث إلى أنّ الفرق بينهما يتمظهر في الجانب الشكلي، إذ يشير إلى أنّ القصيدة القديمة لم تُعرف بالعنوان بخلاف القصيدة الحديثة والمعاصرة، وقد وضح رؤيته هذه معتبراً أنّ "مرجع الذائقة الشعرية في القصيدة العمودية هو البيت الشعري، في حين أنّ مواقع الإدراك الجمالي للعالم في الشعر العربي الحديث عموماً، وفي النماذج العليا المعاصرة المتصدرة خصوصاً، ينتظمها منظور فكري وجمالي كليّ تمثّل فيه العناوين اللوازم المترددة مركز القول الشعري الأساس، الذي يجمع -في آن واحد- بين ثبات الموقع وتغيّره وتغايره، إذ بواسطة هذه الآلية يتم يتناسل حركة التوالد الإيقاعي والدلالي للقصيدة بوصفها كونا شعرياً تتغذى مكوناته من بعضها البعض"²⁵

فقرأة القصائد وتحليلها، تشمل المحور الأفقي والمحور العمودي، وداخل هذين المحورين تتعدد التقسيمات والتصنيفات، بحسب كثافة النص ودرجة تأثيره في القارئ، وبحسب وعي الدارس وذوقه ورصانته التحليلية.

ج/- كتاب المعالم المتصدّرة للنقد الأدبي في العالم العربي أواخر القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة

إنّ هذا الكتاب، هو محاولة من الباحث لتوثيق ما عايشه من جهود في فترات مختلفة، وقد انتهج فيه نقد النقد كفعالية إجرائية وتطبيقية، لاختبار مضامين بعض الخطابات النقدية موضوع الدراسة.

وقد جاءت عناوين فصوله على النحو التالي:²⁶

الفصل الأول: مؤشرات التحول من سلطة النقد المعياري خارج النص إلى سلطة النقد الأدبي المحايث: الاحتكام إلى سلطة اللغة.

الفصل الثاني: الاحتكام إلى سلطة اللغة في النقد البنيوي بين "نمذجة" الأدب وتعزيز مكانة "النقد النصي" في العالم العربي.

الفصل الثالث: المعالم المتصدرة للنقد الأسلوبي (الأسلوبية)، وإشكالية الضرورة والاختيار في الخطاب الشعري العربي، خاصة.

الفصل الرابع: المعالم المتراجحة للنقد العربي الحديث بين السيميائية والتأويلية ونظرية القراءة: ضرورة التعابر النقدي يبدو وعي الباحث كبيرا منذ الصفحات الأولى للكتاب، إذ نجده يصرح بقول غاية في الأهمية، معتبرا "أنّ النقد الأدبي، على امتداد القرن العشرين عموما، وخلال النصف الثاني منه خصوصا، لم يبق مجرد احترافٍ للترف الذهني، المدرسي أو المذهبي أو الأيديولوجي، أو مجرد "صدى" للأدى أو مجرد "وسيط" تربويٍّ ومعرفيٍّ موجّه للأدب وللذوق الاجتماعي من موقع فلسفة الجمال ذات المشارب والمصيّبات "المثالية" أو "الرومانسية"، أو الواقعية، بعد ذلك، وإنما صار ضرورة فكرية ومعرفية وجمالية ومنهجية مُركّبة أكثر انخراطاً في السياق الاجتماعي والإنساني"²⁷

وهي الدعوة نفسها، التي كتبها (عبد السلام المسدي)، في سياق توصيفه للراهن النقدي، فذكر "أنّ النقد الأدبي الحديث يتطور بنسق بالغ السرعة ولكنه نادرا ما يفرغ لنفسه ببعض الاستبطان النقدي في مستوى المعرفة الكلية، ولذلك ترى الأغراض يتوالد بعضها من بعض، وكذا المرجعيات والمناولات، وكأنها في تعاقب خطي أو ارتقاء لولوي. ويغيب عن المتابعين للشأن الأدبي، وعن المعنيين بالشأن النقدي، وأحيانا عن ذوي الأمر في هذا وذاك، أننا نعيش لحظة تاريخية مخصصة هي لحظة انفجار النظرية النقدية"²⁸

وحثي يحيط القارئ بمحتوى الكتاب **والهدف من تأليفه**، عمد الباحث (عثمان بدري) إلى وصف ما بذله من جهد، على أنه "من بين معانيات "نقد/ نقدية"، كثيرة منجزة في العالم العربي من مواقع مختلفة وعبر "وسائط" مختلفة أيضا، ولكنها جميعا تتضايّف، لتتكامل في توسيع مجال الرؤية الاستكشافية لدى تأثر الفكر النقدي العربي الحديث والمعاصر بالمدخل النقدية الحديثة المتصدرة، من منطلق الوعي الجديد، المشترك في الكليات وإن تمايز في التفاصيل الجزئية عن طبيعة ووظيفة القول الأدبي، ومن ثمة عن طبيعة ووظيفة "القول على القول" أي النقد الأدبي، ووجوه الجدوى، من وراء القيام بهذا التشخيص الإجمالي، كثيرة ومتشعبة، ولكن يمكن اختزالها في أنّ افتراض الانتساب إلى الألفية الثالثة يقتضي - وجوبا - استخلاص حصائدنا من الانتساب إلى منجزات القرن العشرين، في مختلف المجالات الثقافية والعلمية والمعرفية عموما، وفي مجال النقد الأدبي العربي "الجديد" بوصفه "المعادل" الفكري للإبداع الأدبي الحديث في مختلف أشكال القول الأدبية العربية ذات الانتشار الكمي الواسع، والتأثير النوعي المتميز، اجتماعيا وثقافيا وحضاريا وجماليًا، كالشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرح، وما إلى ذلك"²⁹؛ فنفهم من وراء قوله هذا، بأن دراسته هذه، دراسة وصفية تحليلية تصنيفية، لما تم تأليفه في الساحتين الأدبية والنقدية، بغية رصد ما تمّ إضافته إلى المخزون الثقافي والأدبي والنقدي المحلي.

وقد لاحظنا من خلال هذه الفقرة، أنه قد استعان بمصطلحات مختلفة، وعمل على التصرف في مدلولاتها، بما يتوافق وتوجهه الفكري والأدبي والنقدي والاصطلاحي؛ فنجد على سبيل المثال، قد وظّف مصطلح "وسائط"، ومصطلح "القول على القول" معتبرا إياه نقدا أدبيا وهذا مخالف لما هو سائد في منظومة المصطلح النقدي؛ إذ يدلّ (القول على القول) على ما يسمى بنقد النقد، وليس النقد الأدبي كما ذكر (عثمان بدري).

كما استعان الباحث - كذلك - بمصطلح "المعادل"؛ أي (المعادل الموضوعي)³⁰، الذي اجترحه (ت. س. إليوت). وانطلاقاً من تصوّره العام للجهود النقدية المبذولة في البيئة العربية، انتهى الباحث إلى "أنّ كلّ مداخل النقد الأدبي العاملة خلال النصف الثاني من القرن العشرين تتكامل - رغم ما بينها من تباين - في الإعلان عن أداء عملها بوصفها وجهاً أصيلاً للأدب نفسه، بعد أن كان الكثير منها، قبل ذلك يعمل بوصفه وجوهاً وأقنعة مؤطرة بسلطة أخرى تحيط بالأدب وتوجهه من خارجه باعتبار المرجع الاجتماعي أو النفسي أو التاريخي أو الأيديولوجي السافر"³¹

إنّ (عثمان بدري) من خلال هذا الاقتباس، يستعين بمصطلح غير مناسب، للتعبير عن التحول الذي عرفته الدراسات النقدية، عندما أخذت تنتقل من المقاربة السياقية إلى المقاربة النسقية؛ فذكره لمصطلح **السلطة**، يأخذنا مباشرة إلى استراتيجية معاصرة من استراتيجيات النقد، وهي **استراتيجية النقد الثقافي**؛ فهل يرمي الباحث من وراء ذلك، إلى أنّ النقد الثقافي قادر على كشف الأنساق المضمرّة داخل المناهج السياقية مثلما يكشفها داخل النصوص الأدبية؟؟ وما هي ملامح وتجليات الهيمنة في الفكر النقدي السياقي؟؟

وهي أسئلة جوهرية، يمكن تحويلها إلى أفق نقدي يسعى النقد إلى بلوغه، من خلال معالجته ضمن فعاليات ملتقى أو استكتاب دولي رفيع المقام.

هذا، وقد انتهى الباحث في رصده لأهم المداخل النقدية الحديثة المتفاوتة في الاحتكام إلى "سلطة اللغة"، إلى تصنيفها على النحو التالي:³²

- من موقع النقد البنوي، التأليفي المؤسس
 - من موقع النقد "الأسلوبي"، المؤلف أو المترجم
 - من موقع "النقد التفسيري" التأويلي
 - من موقع "النقد النصي" بصيغتيه: الأنجلوسكسونية والأوروبية
 - من موقع "النقد السيميائي": النظري أو التطبيقي، المؤلف أو المترجم
 - من موقع "نظرية القراءة" أو "التلقي" أو "الاستقبال"
- وهو تصنيف - كما نرى - شخصي، جاء بناءً على فهم (عثمان بدري) للراهن النقدي العربي في زمنه، بذل فيه جهداً معتبراً، وقام - من خلاله - باستعراض عناوين الكتب التي تم تأليفها داخل كلّ موقع، مع التأكيد على أنّ اللغة هي محور الاشتغال في جميعها، مع اختلاف في طريقة المناولة والتحليل.

4. خاتمة:

لقد تناولنا من خلال مقالنا هذا، بعض مؤلفات الناقد الجزائري (عثمان بدري)، بالوصف والتحليل، فانتهينا إلى النتائج التالية:

- أنّ الباحث قد دخل عالم الدراسات النقدية بدراسة النشر قبل الشعر، ويتجلى ذلك في دراسته لأعمال نجيب محفوظ.

- أنه قد تميز عن أقرانه باجتراح بعض المصطلحات الدقيقة، مثل: الوضع المتحرك للشخصية ويصطلح عليه (الصور السردية) والوضع الساكن ويصطلح عليه (الصور الوصفية) ويميل إلى وصف الحوار باصطلاح (الصور الحوارية)، معتبرا أنّ مدار الأمر كلّهُ يتمحور حول الصور.
- أنه دعا ضمنا إلى اختيار مختلف المناهج النصّية (النسقية) ودمجها تحت مسمى النقد التطبيقي أو القراءة التفسيرية التأويلية، مع ضرورة الحرص على أن تكون نقدا ذا إنتاجية وإضافة لا مجرد تكرار للأدوات التحليلية ونتائج الدراسات السابقة.

توصية:

توفي الأستاذ الدكتور عثمان بدري (جامعة الجزائر2) يوم 25 / 03 / 2023، وقد أردنا من خلال هذا المقال، أن نسلط الضوء على بعض مؤلفاته، عرفانا لما قدّمه وأثرى به المكتبة الجزائرية والعربية، ولذلك ندعو الأساتذة والباحثين للالتفات إليها بالدراسة والتحليل، في إطار ملتقى أو استكتاب رفيع المقام، يتناول أعمال كل النقاد الجزائريين الذي انتقلوا إلى جوار رحمتهم.

5- الهوامش:

- ¹ عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 1986م.
- ² عثمان بدري، دراسات تطبيقية في الشعر العربي نحو تأصيل منهج في النقد التطبيقي، منشورات ثالة، دط، الأبيار الجزائر، 2009م.
- ³ عثمان بدري، المعالم المتصدرة للنقد الأدبي في العالم العربي أواخر القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة، منشورات ثالة، دط، الأبيار الجزائر، 2007م.
- ⁴ أدريان مارينو، نقد الأفكار الأدبية ع 1148، تر: محمد الرامي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2008م، ص26.
- ⁵ عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، ط4، دمشق سورية، 2005م، ص16.
- ⁶ يراجع: حميد لحداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة أنفو-برانت، ط3، فاس المغرب، 2014م، ص11-28.
- ⁷ حميد لحداني، (مرجع سابق)، ص18.
- ⁸ مجموعة مؤلفين، حصاد الفكر العربي الحديث في النقد الأدبي، مؤسسة ناصر للثقافة، ط1، بيروت لبنان، 1981م، ص7.
- ⁹ زنيه وليك، أوستن وآرن، نظرية الأدب، تع: عادل سلامة، دار الميرخ للنشر، ط3، السعودية، 1992م، ص154.
- ¹⁰ جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998م، ص: 287-288.

- ¹¹ سامي شهاب أحمد الجبوري، جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر حول شعر أبي العلاء المعري دراسة في نقد النقد، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2013م، ص26.
 - ¹² المرجع نفسه، ص27.
 - ¹³ عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية (مرجع سابق)، ص: 6-7.
 - ¹⁴ المرجع نفسه، ص11.
 - ¹⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
 - ¹⁶ عثمان بدري، بناء الشخصية (مرجع سابق)، ص: 11-12.
 - ¹⁷ المرجع نفسه، ص12.
 - ¹⁸ عثمان بدري، دراسات تطبيقية، ص7.
 - ¹⁹ عثمان بدري، دراسات تطبيقية (مرجع سابق)، ص11.
 - ²⁰ المرجع نفسه، ص3.
 - ²¹ المرجع نفسه، ص: 5-6.
 - ²² آمنة بلعلی، عبد الله العشی، فقه الشعر من سؤال الشكل إلى أسئلة المعنى، دار ميم للنشر، دط، الجزائر، 2019م، ص24.
 - ²³ عثمان بدري، دراسات تطبيقية (مرجع سابق)، ص23.
 - ²⁴ المرجع نفسه، ص26.
 - ²⁵ عثمان بدري، دراسات تطبيقية (مرجع سابق)، ص82.
 - ²⁶ عثمان بدري، المعالم المتصدرة للنقد (مرجع سابق)، ص3.
 - ²⁷ المرجع نفسه، ص15.
 - ²⁸ عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004م، ص9.
 - ²⁹ عثمان بدري، المعالم المتصدرة (مرجع سابق)، ص14.
 - ³⁰ لمطالعة تعريف المعادل الموضوعي، يمكن العودة إلى: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، المحمدية الجزائر، 2015م، ص: 50-51.
 - ³¹ المرجع نفسه، ص: 17-18.
 - ³² عثمان بدري، المعالم المتصدرة للنقد (مرجع سابق)، ص: 27-39.
- 6. قائمة المراجع:**

أ/- الكتب:

- 1- آمنة بلعلی، عبد الله العشی، فقه الشعر من سؤال الشكل إلى أسئلة المعنى، دار ميم للنشر، دط، الجزائر، 2019م.
- 2- جابر عصفور، نظريات معاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1998م.

- 3- حميد لحمداني، الفكر النقدي الأدبي المعاصر مناهج ونظريات ومواقف، مطبعة أنفو-برانت، ط3، فاس المغرب، 2014م.
 - 4- سامي شهاب أحمد الجبوري، جدل الخطاب النقدي الحديث والمعاصر حول شعر أبي العلاء المعري دراسة في نقد النقد، دار جرير للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2013م.
 - 5- عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت لبنان، 2004م.
 - 6- عثمان بدري، المعالم المتصدرة للنقد الأدبي في العالم العربي أواخر القرن العشرين وبداية الألفية الثالثة، منشورات ثالة، دط، الأبيار الجزائر، 2007م.
 - 7- عثمان بدري، بناء الشخصية الرئيسية في روايات نجيب محفوظ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 1986م.
 - 8- عثمان بدري، دراسات تطبيقية في الشعر العربي نحو تأصيل منهج في النقد التطبيقي، منشورات ثالة، دط، الأبيار الجزائر، 2009م.
 - 9- عيسى علي العاكوب، التفكير النقدي عند العرب، دار الفكر، ط4، دمشق سورية، 2005م.
 - 10- مجموعة مؤلفين، حصاد الفكر العربي الحديث في النقد الأدبي، مؤسسة ناصر للثقافة، ط1، بيروت لبنان، 1981م.
 - 11- يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، ط3، المحمدية الجزائر، 2015م.
- ب/- المراجع المترجمة:
- 1- رنيه وليك، أوستن وآرن، نظرية الأدب، تعريب: عادل سلامة، دار الميرخ للنشر، ط3، السعودية، 1992م، ص154.

ج/- المجلات:

- 1- أدريان مارينو، نقد الأفكار الأدبية ع 1148، تر: محمد الرامي، المركز القومي للترجمة، ط1، القاهرة، 2008م.